المصدر : الاهـــــرام
التاريخ : ١٨ يونية ٢٠٠٠

رحل حافظ الأسد آخر فرسان الصمود والكرامة فى القرن العشرين.. فاضت روحه وهو فى قمة شموخه وعزته وغادر دنيانا وهو مرفوع الرأس موفور الكرامة، وكان قامة صامدة لم تساوم ولم تهادن أو تفرط.

سوريا... بعد حافظ الأسد

إحسان بكر

مات حافظ الأسد لكن سوريا سوف تبقى قلعة منيعة بعد أن نقلها الأسد من دولة تعصف بها انقلابات العسكر إلى دولة مدت نفوذها الى دول الجوار وبات لها وزن إقليمى كبير أسهم فى رسم تاريخ المنطقة، وإذا كان صحيحا أنه لا حرب بدون مصر فلا سلام أيضا بدون سوريا. كان خير رفيق لمصر فى حرب أكتوبر المجيدة وأنبل شريك فى معركة السلام، كان قامة استثنائية صلبة من الرجال الذين يصنعون التاريخ العربى الحديث أسهم بالدور الابرز فى صناعة انتصار المقاومة الوطنية اللبنانية وصناعة الهزيمة السياسية والعسكرية لإسرائيل ، فى أحراش الجنوب اللبنانى.

ماذا بعد رحيل حافظ الأسد، وإلى أين تسير الأمور؟

الاستقرار.. والتغيير هما عنوان المرحلة الجديدة فى سوريا التى يقودها بشار الأسد، ولقد جاءت عملية انتقال السلطة بمستوى عال من التنظيم والتنفيذ الدقيق وكان كل شئ قد حسب حسابه واشرف على وضعه الزعيم الراحل، وعلى امتداد ساعات يوم واحد انتقلت السلطة فى سوريا بهدوء من الأب الراحل الى الابن الرئيس.. فمؤتمر حزب البعث الحاكم قد عين بشار الأسد قائدا للبلاد، ومجلس الشعب سوف ينعقد الأحد المقبل لإقرار التعيين، ثم يطرح القرار للاستفتاء الشعبى العام ، لينال الشرعية الشعبية.

ولسوف يذكر التاريخ لحافظ الأسد أنه استطاع الوقوف فى وجه المخططات الأمريكية والإسرائيلية للهيمنة الشاملة على الشرق الأوسط وقاوم الأسد بتمسكه الذى لا يلين بالحقوق العربية المشروعة كل أشكال الضغوط العسكرية والسياسية والاقتصادية واستمر فى التحدى الى النهاية وكانت وقفته المشهودة العنيدة الأخيرة فى قمته مع الرئيس بيل كلينتون فى جنيف خلال مارس الماضى، عندما رفض بإصرار رغم الضغوط الأمريكية التنازل لإسرائيل عن بضعة أمتار من ارض الجولان. رفض بفروسية آخر فرسان الأمويين كل دعاوى المرونة والواقعية وأصر على سلام عادل ومشرف يحرر كل الاراضى العربية لا سلام الراكعين والمتخاذلين.

والكل ينظر باهتمام بالغ لمعرفة النهج الذى ستعتمده سوريا فى عهدها الجديد فى مواجهة تحديات عديدة ومخيفة ، منها ملف سلام الشرق الاوسط والتطوير الاقتصادى وانتشال سوريا من الأزمة الاقتصادية الخانقة واعتماد التغيير فى ظل سنوات الاستقرار والاستمرار.

وبداية نقرر أن سوريا العهد الجديد ليست مستعدة ابدا للتفريط فى الاستقرار الذى تحقق عبر حكم الرئيس الاسد الذى امتد لثلاثين عاما.. لكن ضمان الاستقرار رهن بالقدرة على التغيير الذى يصعب أن يتم انجازه فى غياب الاستقرار . ومهمة التغيير لن تكون سهلة فهى تصطدم بشبكة معقدة من المصالح تشكلت على مدى سنوات وضلعت فيها أسماء بارزة كما اظهرت الحملة على الفساد التى يقودها بشار الأسد منذ اسابيع كما انها تصطدم بانصار النهج القديم واحتدام الصراع بين الحرس القديم للحزب والحرس الجديد.

اى بحث فى ملامح سوريا ودورها فى العهد الجديد فى العقد الأول من القرن الجديد لابد أن يبدأ من قراءة المتغيرات الكثيرة والهائلة التى طرأت على الساحة الدولية والاقليمية. ايام الرئيس الأسد كان هناك الاتحاد السوفيتى القوة العظمى الثانية والظهير المساند للعالم العربى بكل قضاياه ولم يعد موجودا ولم تعد موسكو مكانا صالحا للرهان عليه، وغاب ايضا المعسكر الاشتراكى واصبح العالم يعيش فى ظل قوة عظمى وحيدة حسمت الصراع بتقدمها الاقتصادى والعلمى والتكنولوجى فضلا عن آلة عسكرية هائلة غير مسبوقة.

أو على الصعيد الاقليمى جاءت عملية الغزو العراقى لدولة الكويت يوم الثانى من اغسطس ١٩٩٠ لتخل بموازين القوى الاقليمية ولتشكل هزيمة هائلة للتضامن العربى ولتفقد العرب القدرة على الوحدة والتنسيق بل حتى على مجرد عقد اجتماع للقمة العربية يلم الشمل . جاء السلام المصرى- الاسرائيلى ثم جاء مؤتمر مدريد عام ٩١ والتحقت سوريا الأسد بركب قطار السلام ، وما تلاه من تداعيات اتفاق أوسلو الذى وصفه الأسد بأن كل بند من بنوده يحتاج الى اتفاق جديد، ثم السلام الاردنى- الاسرائيلى والعلاقات التركية- الاسرائيلية المتنامية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

لقد استطاع حافظ الاسد خلال تلك الفترة المهمة من حياة العالم والمنطقة أن يقرأ التاريخ ويستوعبه وكان يمتلك بحق قدرة استثنائية على القراءة والتعايش والخروج من دائرة التمسك الدقيق بالثوابت القومية الى ضرورات الواقعية والمرونة التى لا تصل الى حد التفريط فى الثوابت القومية.

كان الرئيس حافظ الأسد صاحب نهج فريد من الحنكة والمهارة، خاصة عملية التسوية السياسية لقضية الشرق الاوسط فهو يجمع بين الصلابة والمرونة والتكتيك مع المبادئ والتفاصيل الدقيقة مع الهدف الاستراتيجى، وبالفعل فلقد شكلت سوريا من خلال نهج الاسد عنصر توازن مع اسرائيل ، ليس من اجل مصلحة سوريا فحسب بل لمصلحة الوضع العربى برمته.

وأدرك حافظ الاسد بسلامة بصيرته أنه آن الآوان لأن تتغير سوريا فى عالم قد تغير بالفعل وهذا ما فعله الأسد لقد ضمن الإستقرار وبدأ عملية التغيير وإن أحجام الدول ومكانتها مرهونة فى المرحلة الحالية والمقبلة بصحة اقتصادها واستقرار اوضاعها مثلما هى مرهونة بحجم جيشها وسلامة وحدتها الوطنية وجبهتها الداخلية ، وأحسب ان الرئيس الراحل قد عمل ومنذ فترة ليست بالقصيرة على ان يقود بنفسه عملية التغيير وضمان الاستقرار.

ونسأل عن عملية السلام بعد الانسحاب الإسرائيلي من لبنان ونسأل عن المستقبل بعد الرحيل؟ منذ اسبوع ، وقبل اقل من ساعة واحدة من موعد لقائها مع وزير الخارجية السورى فاروق الشرع اثناء زيارتها الاخيرة للقاهرة طالبت مادلين اولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية بانسحاب القوات السورية من لبنان . فالسيدة مادلين أولبرايت أرادت توجيه رسالة الى القيادة السورية تحذرها من التمسك بمطالبها فى استعادة كل هضبة الجولان وبحيرة طبرية واستخدام ورقة المقاومة الاسلامية فى جنوب لبنان كورقة ضغط فى هذا الاتجاه . والملفت للنظر أن اولبرايت قد ساوت بين الاحتلال الاسرائيلى للبنان والوجود السورى فيه، واعتبرت ان الانسحاب الاسرائيلى من الجنوب يجب ان يتم بالتوازى مع نظيره السورى دون اى تاخير. وبعد رحيل الأسد وقبيل أن تصل الى العاصمة السورية للمشاركة فى الجنازة الرسمية اعلنت انه من اللائق ان تعبر امريكا فى هذه المرحلة عن احترامها لشخصية تاريخية مثل الرئيس الاسد وتقدم العزاء للشعب السورى، وقالت إننى أكرر أن الباب مفتوح لاستئناف التفاوض مع إسرائيل وان هناك مؤشرات الى أن العهد الجديد بقيادة بشار الأسد يريد أن يجعل من بلاده التى تخضع لسيطرة مشددة اكثر انفتاحا وانه من الضرورى أن تكون سوريا جزءا من حل اقليمى فى الشرق الأوسط نسعى جميعا اليه كى تتمكن المنطقة كلها من ان تزدهر وتكون اسرائيل جزءا لا يتجزأ منها.

العهد الجديد فى سوريا يدرك تماما ابعاد اللعبة الامريكية والاسرائيلية . ويفصل تماما بين الانسحاب الاسرائيلى من الجنوب والوجود السورى فى لبنان ، وليس سرا عندما نقول إن ثمة اتفاقا سوريا لبنانيا قد تم قبيل رحيل الرئيس الاسد بايام قليلة بعدم إعطاء اسرائيل اى ذريعة او مبرر لتغيير الأوضاع فى لبنان . وليس سرا أن ثمة اتفاقا قد تم بمقتضاه أن يعقد لبنان اتفاقا منفردا مع اسرائيل وأن أى اتفاقية سلام مع اسرائيل ستعقد من سوريا ولبنان معا.

بانسحاب القوات الاسرائيلية المهزومة من لبنان وبرحيل الرئيس حافظ الاسد يصح أن نقول ان لبنان وسوريا قد دخلا معا عهدا جديدا.

والعهد الجديد فى سوريا يتطلب أقصى درجات اليقظة والحزم واتباع نهج المرونة والصمود فى آن واحد، ويتطلب قبل اى شئ آخر أن يكون الرئيس الجديد لسوريا رئيسا لكل السوريين وأن يرسى عهدا شعاره العدالة الاجتماعية والنزاهة والحرية والديمقراطية ، والديمقراطية وحدها هى الطريق الوحيد امام سوريا كى تستعيد عافيتها وتظل دائما وابدا قلعة العروبة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية